ولكن دارسا للتاريخ مثل شارل عيساوي يمضي أكثر من ذلك كله ويعتبر ان التشابه بينهما ، القائم حتى في التفاصيل الدقيقة ، يصل الى حد الاعجاز . لكن الشيء الهام في استنتاجه هو ان هذه التشابهات ليست وليدة الصدفة ، بل ناتجة عن تشابه المعطيات والظروف بين الدولتين ، وفي كلا الحالتين فالموضوع هو تأثير مجتمع غربي على الشرق الادنى المسلم . ويتساءل هل يؤدي التشابه والمعطيات والظروف الى تشابه في النتائج وفق قوانين التاريخ . فالعوامل والمؤشرات الاساسية التي سادت اوضاع الدولة الصليبية لم تتبدل اليوم . فهناك العامل الجغرافي ( كون سوريا ومصر تشكلان الفاصل بين البحر المتوسط والمحيط الهندي وبالتالي بين مراكز النشاط الاقتصادي في اوروبا والشرق الاقصى ) والعامل الجغرافي البشري (كون مصر مركز الثقل في الشرق الاوسط) وهناك مؤثران ثقافيان ( الاسلام عامل للتلاحم الاجتماعي والقدس ذات مكانة روحية سامية ) . هذا من ناحية عوامل التاريخ التي لم تتبدل . ثم ان هناك اوجه شبه بين طبيعة الدولتين ( التطلع نحو القدس ، التجزئة العربية ، سوء تقدير العرب لقوة الدخلاء ، المفاوضات السرية مع العدو ، بدء التلاحم العربي بعد خلق الدولة الدخيلة ، وحدة سوريا ومصر واليمن ، الروح التوسعية عند الدولة الدخيلة واعتمادها على العون الخارجي بالمال والرجال ، رفض العرب للدولة الدخيلة ، سعي الدولة الدخيلة الى الاتصال بالبحر الاحمر عن طريق العقبة ومقاومة القاهرة كذلك حصول تقارب مصري — سوري عند قيام عدوان على مصر من قبل الدولة الدخيلة ) . وقد وصف رنيه غروسيه « ان هذه الكتلة الاسلامية الضخمة القادرة على محو اضعاف هؤلاء المغامرين القادمين الى آسيا بعشرين مرة ، قد سمحت لنفسها ، بتجزؤها ، ان تتحطم امام الانفجار الفرنجي »(٨) .

## « السابقة الصليبية »

لقد كان لنظرية « السابقة الصليبية » تأثيرها على كل من العرب واليهود . فقد تحدث عنها الفريق امين الحافظ ايام رئاسته لسوريا مرارا كما وان الرئيس عبد الناصر كان يضعها في صلب تفكيره عندما قال في خطابه ، في الذكرى الاولى لحرب حزيران ، ان حرب العرب مع اسرائيل حرب طويلة قد تمتد الى « عشرات السنين وربما مئات السنين » كما وان توينبي تحدث مرارا عن ان الصراع العربي الاسرائيلي قد يطول مئات من السنين وان اليهود سيضطرون بالنهاية الى الهجرة من اسرائيل . ويروي انتوني ناتنغ احد معارضي الفكرة الصليبية بانه كثيرا ما سمع العرب يتحدثون عنها واعتبرها ميلا خطيرا لدى العرب لاعتقاده ان وجود الاسلحة النووية قد بدل المعطيات تبديلا اساسيا(٩) .

ويجد المرء كذلك في مذكرات ناحوم غولدمان وكتاباته قلقا من أن الزمن لا يعمل لصالح اسرائيل . كما وان اهم جوائز رئيس الدولة في اسرائيل عن عام ١٩٦٩ اعطيت للبروفسور يشوع برافر أحد خبراء تاريخ الصليبيين الذي «اثبت» ان السابقة الصليبية لن تكرر مع اسرائيل . ولكن رجلا مثل الجنرال اسحق رابين ادهش مستمعيه ، في ايلول ١٩٦٧ ، في الخطاب الذي القاه في احتفالات الذكرى السبعين لانعقاد المؤتمر الصهيوني الاول حينما شبه اسرائيل بالدولة الصليبية وقال ان اكثر ما يخشاه على اسرائيل هو ان تذبل اذا اصابها جفاف في الهجرة كما حصل الامر مع الدولة الصليبية . وكان رابين آنذاك رئيسا للاركان يحمل لقب المنتصر في حرب حزيران .

فما هي السابقة الصليبية وما العبرة فيها ؟

بدأت أول غزوة صليبية عام ١٠٩٥ بدعم مادي وبشري هائلين من العالم المسيحي . وقد افاد الصليبيون من التفكك الذي عم العالم الاسلامي فاقاموا دويلات عدة في المنطقة .